http:// doi:www.doi.org/10.32441/kjhs,7.12.8

Al-Kitab Journal for Human Sciences (KJHS)
Scientific Biannual Refereed Journal
P-ISSN2617-460, E-ISSN (3005-8643)
https://isnra.net/index.php/KJHS/about/editorialTeam

The Battle of Badr 2 AH / 623 AD in the writings of the English orientalist Montgomery Watt

Dr. Saad Abd Mutlaq Hammoud Al-Jubouri
Lecturer
Dept.of History- College of Arts - Kirkuk University

ARTICLE INFORMATION

Received: 9 June,2024

Accepted: 27 July,2024

Available online: 1 Nov.,2024

***PP* :167-190**

© THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE

https://creativecommons.org/license/by/4.0

Corresponding author:
Dr. Saad Abd Mutlaq Hammoud Al-Jubouri
Kirkuk University- College of Arts- Department of History
Email:
saad@uokirkuk.edu.iq.com

Abstract

Praise be to God, Lord of the Worlds, and may blessings and peace be upon the most honorable of messengers, the Seal of the Prophets, and mercy from God to the worlds, and our Master Muhammad, and upon his family and pure companions, and after. The present study deals with the British Orientalist position of the Orientalist Montgomery through his book Muhammad in Medina. It tackles the causes of the Battle of Badr, and its results through the book (Muhammad in Medina) and the response to it. Among the most important events that affected the path of Islam nation was the Great Battle of Badr in the second year of the Hijra, as it was the cornerstone that it laid the foundations for this nation and its horizons began. It was the turning point that transformed the nation from weakness and humiliation to strength and glory, and it distinguished between truth and falsehood. The battle occurred in the 17th day of Ramadan of the second year of Hijra near the wells of Badr on the trade way to Al-Sham, one of the famous Arab markets. Badr represents the opening victory for the Muslims and the beginning of good and prosperity. When Badr is mentioned, it is connected to the biography of the prophet Mohammed (peace be upon him) and his great achievements against atheism.

Keywords :Orientalism and Islam - Montgomery Watt and the Islamic Call - Watt and the Conquests of the Prophet - Orientalists and Jews in Medina.

معركة بدر ٢هـ / ٦٢٣ م في كتابات المستشرق الإنكليزي منتغمري وات

الدكتور سعد عبد مطلك حمود الجبوري
قسم التأريخ - كلية الآداب - جامعة كركوك

مجلة الكتاب للعلوم الإنسانية
KJHS

مجلة علمية، نصف سنوية
مفتوحة الوصول، محكمة

تاريخ تسلم البحث: ٢٠٢٤/٦/٩
تاريخ قبول النشر : ٢٠٢٤/٧/٢٧
تاريخ النشر : ٢٠٢٤/١١/١

المجلد: (٧)
العدد: (١٢) لسنة ٢٠٢٤م
جامعة الكتاب – كركوك – العراق

تحتفظ (TANRA) بحقوق الطبع والنشر للمقالات المنشورة، والتي يتم إصدارها بموجب ترخيص (Creative Commons Attribution) لـ (CC-BY-4.0) الذي يتيح الاستخدام، والتوزيع والاستنساخ غير المقيد وتوزيع للمقالة في أي وسيط نقل، بشرط اقتباس العمل الأصلي بشكل صحيح

" معركة بدر ٢هـ / ٦٢٣ م في كتابات المستشرق الإنكليزي منتغمري وات "

مجلة الكتاب للعلوم الإنسانية

https://doi.org/
P-ISSN:1609-591X
E-ISSN: (3005-8643)-X
kjhs@uoalkitab.edu.iq

المستخلص

معركة بدر السنة الثانية للهجرة من خلال كتابات المستشرق البريطاني (منتغمري وات) اختياراً

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمة من الله للعالمين وسيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين وبعد .

لقد تناولت الدراسة للبحث موقف الاستشراق البريطاني للمستشرق موتنغمري وات من خلال كتابه محمد في المدينة ، تناولت الدراسة من المقدمة ، واسباب معركة بدر ، ونتائج معركة بدر من خلال كتابه (محمد في المدينة) والرد عليها ، فمن أهم الأحداث التي أثرت في مسيرة هذه الأمة غزوة بدر الكبرى السنة الثانية للهجرة فهي حجر الزاوية الذي اسس لهذه الأمة وانطلقت منه الأفاق ، ونقطة التحول التي حولت الأمة من الضعف والهوان إلى القوة والعزة وهي ميزت بين الحق والباطل .

وقعت غزوة بدر في صبيحة يوم الاثنين ١٧ / رمضان السنة الثانية للهجرة وكان موقعها في ارض بدر ، وهي محطة لمرور القوافل المتجهة إلى الشام والعائدة إلى مكة المكرمة وكانت تمثل سوقاً من أسواق العرب المشهورة ساعدها في ذلك موقعها الجغرافي بين مكة والمدينة اسفل وادي الصفراء ، وشكل انتصار المسلمين في غزوة بدر الكبرى فاتحة الانتصارات في شهر رمضان شهر الفتوحات والانتصارات والخيرات والتمكين .

وما أن تذكر الأحداث المهمة في تاريخ المسلمين والتي حدثت في رمضان فإن أول ما يحضر في بال كل مسلم غزوة بدر الكبرى التي انتصر فيها المسلمون بقيادة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، على جحافل الكفر وصناديد الباطل من قريش .

وغزوة بدر الكبرى : إنها الموقعة الفاصلة في عبادة الله على هذه الأرض هل ستبقى أو ستفنى ، ولأنها أول غزوة كان لها أثرها في إظهار قوة الإسلام ، فكانت بدء الطريق ونقطة الانطلاق في انتشار الإسلام .

الكلمات المفتاحية / منتغمري وات واليهود ، محمد في المدينة ، المستشرقون وغزوة بدر.

المقدمة

واصل الرسول (صلى الله عليه وسلم) سياسته القائمة على ممارسة الضغط على حرية قريش في ارسال قوافله التجارية إلى بلاد الشام من خلال محاولة التعرض لها بالاستيلاء عليها ، لذا فإنه بدأ يترقب موعد عودة قافلة قريش التي كانت ذاهبة إلى الشام حينما خرج في غزوة العشيرة للتعرض لها وقد وقعت غزة بدر في صبيحة يوم الاثنين ١٧ / رمضان ٢ هجرية المصادفة ٦٢٤ ميلادية ، وكان موقعها في ارض بدر وهي محطة لمرور القوافل التجارية المتجهة الشام والعائدة الى مكة وكانت تمثل سوقا من أسواق العرب المشهورة ساعدها في ذلك موقعها الجغرافي بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء وسميت غزوة بدر الكبرى بهذا الاسم نسبة إلى منطقة بدر وهي بئر مشهورة تقع بين مكة المكرمة والمدينة المنورة وتسمى بيوم الفرقان ، وكان الهدف من هذه المعركة هو هدف اقتصادي من شأنه ان يلحق ضربة قوية في اقتصاد قوة قريش ويعوض المهاجرين عن أموالهم التي صادرتها قريش ويساعد على تحسين أوضاعهم الاقتصادية .

وكان الهدف هي معرفة آراء المستشرق الإنكليزي مونتمغمري وات في معركة بدر الكبرى وماهو السبب الرئيسي لهذه المعركة ، وما هو موقف اليهود بعد المعركة ودور السرايا والغزوات قبل معركة بدر والرد على آرائه من خلال المصادر التالية ابن هشام كتابه السيرة النبوية ج٢ وج٣ ، الواقدي كتابه المغازي ج١، الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ، وابن سعد الطبقات ج٢ وتم الاستفادة من مجموعة من المراجع منها :محمود شيت خطاب الرسول القائد ، عماد الدين خليل دراسة في السيرة .الشريف احمد إبراهيم وكتابه الدولة الإسلامية الأولى ، على الرغم من أن هناك اختلافا في الطبعات وأرقام الصفحات تم الرد على أراء المستشرق رغم وجود الكثير من التطابق واخذه معلومات كثيرة من المصادر الإسلامية ، من الصعوبات التي واجهتها في كتابة البحث هي فقط كانت الترجمة لكتاب وات محمد في المدينة ترجمة غير جيدة ، وتم تقسيم البحث الى مقدمة المبحث الأول الى مقدمة والهجرة إلى المدينة والغزوات والسرايا قبل معركة بدر أما المبحث الثاني فكان عن معركة بدر وتفاصيلها والخاتمة .وما توصلت إليه من نتائج

حياة المستشرق الانجليزي مونتمغمري وات Montgomery Wait

أولاً : التعريف بمونتمغري وات

مستشرق بريطاني ١٣٢٧ هـ / ١٤ اذار مارس معاصر ولد عام ١٩٠٩ م ، والدهُ القس آندرو ، وات درس في كل من اكاديمية لارخ وعمل استاذاً للغة العربية والدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي في جامعة إدنبرة – أسكتلندا من عام ١٩٤٧ – ١٩٧٩ م ودرس في أكاديمية لارخ وفي كلية جورج واطسون ، وكلية باليول بأكسفورد وجامعة جينا على التوالي – عمل راعياً لعدة كنائس في لندن نال درجة الاستاذية عام ١٩٦٤م ، قام خلال ترأسهُ قسم الدراسات العربية والإسلامية بتدريس الإسلام : عقيدة وتاريخياً وحضارة لعدة اجيال من الطلبة كثير منهم مسلمون / وقد اهتم بدراسة سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو معروف لدى طلابه بتعصبه ونزعاته التنصيرية ، يعد من أبرز أعلام المستشرقين المعاصرين في بريطانياً ، واكثرهم تنوعاً في مجال دراسته الإسلامية ، وتخطى أعمالهُ بشهرة واسعة بين المشتغلين بالدراسات الإسلامية والعربية (١) .

ثانياً : مؤلفاته .

أصدر العديد من المؤلفات من أشهر مؤلفاته .

- محمد في مكة ١٩٥٣ م ، محمد في المدينة ١٩٥٦ م ، القضاء والقدر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة, تاريخ الجزيرة العربية ، الجدل الديني ، محمد النبي والسياسة .

(١) نجيب العقيقي ، المستشرقون ،ج٢ ، ص ٥٥٤ .

- الفلسفة الإسلامية والعقيدة ، موجز تاريخ الإسلام ، العلاقات الإسلامية النصرانية (٢) .
- تأثير الإسلام في أوربا القرون الوسطى ، تاريخ إسبانيا الإسلامي.
- حقيقة الدين في عصرنا

توفي عام في ٢٤ اكتوبر ٢٠٠٦م الموافق ٢ شوال ١٤٢٧ هـ عن عمر ناهز المائة (٣) .

المبحث الأول

افتراءات المستشرقين البريطانيين على السيرة النبوية في العهد المدني والرد عليها تحدي قريش .

أولاً : الحالة عند الهجرة .

يذكر المستشرق مونتغمري وات ، تبدأ الفترة المدنية من حياة محمد بوصوله إلى قباء في قباء واحة المدينة في ٤ أيلول لسنة ٦٢٢ م ، فقد أصبحت الحياة بالنسبة إليه مستحيلة في مكة ، بسبب المعارضة التي أثارها ضده ، وكان قد عقد اتفاقاً مع زعماء المدينة ، وكان هذا يعني ،ومن الناحية الدينية ، قبول محمد كنبي ، ومن الناحية السياسية كحكم بين الفئات المتنازعة في المدينة ، ويبدوا ان الكثيرين كانوا مخلصين في قبوله كنبي ، وان كان البعض لم ينظر الى المسالة إلا من الناحية السياسية ، وقد سبقه إلى المدينة ، ، سبعون من أتباعه المكيين حيث أقاموا برعاية أنصاره المدنيين ، وهكذا اصبح لمحمد عند قدومه الى المدينة لمحمد حاشية دينية قوية ، واصبحت له مكانة سياسية مهمة نوعاً ما في أمته ، وان كان مدى سلطته لم يحدد تماماً ، وقد سمي كل من اتباعه في مكة والمدينة بالمهاجرين والانصار(4) .

ذكر الطبري ، ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) هاجر الى المدينة في شهر ربيع الأول من سنة اربع عشرة ، من حين الشيء ، وكان خروجه من مكة اليها يوم الاثنين ، وقدومه الى المدينة يوم الاثنين ، لمضي اثني عشر يوم من شهر ربيع الأول ، وبعد ذلك تجمعه (صلى الله عليه وسلم) بأصحابه الجمعة ، في اليوم الذي ارتحل فيه قباء وارتحاله عنها كان يوم الجمعة قاصداً المدينة ، فادركته الصلاة ، صلاة الجمعة ، واتخذ في ذلك الموضع في بني سالم بن عوف ، وكانت اول جمعة جمعها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الإسلام ، فخطب في هذه الجمعة (٥) .

ذكر وات ، وتوجه محمد على فرسه ، بعد أن قام بضعة أيام في قباء ، نحو وسط الواحة واختار مكاناً لبيته ، وكان يقيم قريباً منهُ اثناء بناء البيت وقد أصبح هذا البيت والساحة التي أمامه ، فيما بعد الجامع الكائن في وسط المدينة الحديثة ولم تكن كثافة السكان أيام محمد في هذا الموضع اكثر منها في مكان اخر من الواحة(قباء)، وكانت المنشآت الأولى نحو الجنوب في العالية ، قام محمد إذاً وسط أصحابه وبدأ محمد في بتيسير الشؤون الدينية والدنيوية لأمتهِ ، خلال الأشهر الأولى في المدينة ، وكان نشاطه متعدد الجوانب ، ولا يملك إلا القليل من المعطيات التاريخية ما عدا الشؤون الخارجية والغزوات بدأ يعالج الشؤون الخارجية ، أي العلاقات مع كفار مكة ، ومع القبائل البدوية ومع القبائل اليهودية وحسب نظام منهجي في مختلف الجوانب الداخلية لحياة الامة الإسلامية (6) .

---

(٢) محمد في المدينة ، تعريب : شعبان بركات ، المكتبة العصرية ، بيروت ؛ محمد في مكة ، تعريب ، شعبان بركات المكتبة العصرية ، بيروت .

(٣) احمد غراب ، رؤية اسلامية للاستشراق ، ص ١١٥ – ١٢٦ .

(٤) مونتغمري وات : محمد في المدينة : تعريب شعبان بركات،منشورات المكتبة العصرية ،صيدا، بيروت / ١٩ .

(٥) محمد بن جرير الطبري : (ت ٢٢٤ – ٣١٠ هـ) ، تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٨ م ،ج٢ / ٢٤٧ .

(٦) منتغمري وات : محمد في المدينة ، ص ٦ .

ثانيا- المؤاخاة :

إن المبادئ التي جاء بها الإسلام قد خلفت بني المؤمنين بها ، ومنذ المرحلة المكية روحاً من التعاطف والمودة والتعاون بصفتهم جماعة واحدة في مواجهة من خالفها من المشركين ، وقد عمل الرسول (صلى الله عليه وسلم) على معاملة اصحابه على قدم المساواة وحث اتباعه الاغنياء على مساعدة الفقراء والمستضعفين من المؤمنين ، لذا فقد روي أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) قد قام بشراء من الارقاء المسلمين الذين كانوا يعانون من تعذيب اسيادهم المشركين واعتقهم في سبيل الله ، وكان ابرزهم بلال الحبشي(7) .

وهكذا أن العقيدة في الله قد استطاعت ان توحد بين المسلمين من اسباب التعاطف والتعاون والمحبة ما يوازي او يتفوق على ما تخلف رابطة الاخوة في الدم، لذا فقد اطلق على العلاقة التي تشد المؤمنين بعضهم الى بعض الاخوة في الله ،وبهذا المعنى المتقدم يمكن فهم ما أوردته بعض الروايات عن حصول مؤاخاة بين المهاجرين انفسهم على الحق والمؤاساة (8) ، دون أن يتعدى الى ترتيب حقوق محددة بينهم كالحق في التوراث ، وحين امر الرسول (صلى الله عليه وسلم) اصحابه المكيين بالهجرة الى المدينة ، فقد تم توزيع المهاجرين على اساس عشائرهم حيث روعي ان يبقى مجموع أفراد العشيرة الواحدة في مكان واحد وينزلون على شخص واحد بعد وصول الرسول الى المدينة واستقراره فيها ، تحول المهاجرين من أماكن اقامتهم الأولى وانتشروا في المدينة(9) .

إن موقف الانصار ، بعد ان تنافس فيهم الانصار ان ينزلوا عليهم حتى اقترعوا فيهم بالسهمان ، فما نزل احد من على احد الا بقرعة سهم ، رغم ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد قدر اقامة المهاجرين على الأنصار لا يمكن ان تكون حالة دائمة ، لذا سعى الى الحصول على ارض وتوزيعها على المهاجرين لبناء مساكن لأنفسهم ، ان موقف الانصار من المهاجرين قد اثر في نفوسهم كثيراً لذا فقد عبروا عن امتنانهم العميق تجاه اخوانهم الانصار بقولهم للرسول (صلى الله عليه وسلم) يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم احسن مواساة في قليل واحسن بذلاً في كثير ، كفونا المؤنة واشركونا في المهنأ لقد خشينا ان يذهبوا بالأجر لله ، قال : لا ما اثنيتم عليهم ودعوتهم لهم (10) .

ثالثا- الهجرة الى المدينة

هاجر المسلمون بعد أن أمرهم الرسول عليه(الصلاة والسلام)بذلك، وظل عليه (الصلاة و السلام) بمكة ينتظر أمر الله سبحانه وتعالى ،حتى أتاه أمر الله بالهجرة إلى المدينة عن طريق الوحي .

وقد تحدث مونتمغري وات عن هجرة الرسول عليه (الصلاة و السلام)إلى المدينة و كأنه يصف خطة درست مسبقاً دون أن يشير إلى أن الرسول عليه (الصلاة و السلام)كان ينتظر أمر الله له بالهجرة (١١).وكذلك تحدث المستشرق البريطاني جيوم الذي عد خروجه عليه الصلاة والسلام إلى المدينة تنبها منه

([7])ابن سيد الناس : محمد بن عبدالله بن يحيى (ت ٧٣٤هـ) ، عيون الأثر في فنون المغزي والشمائل والسيرة ، ط٢ ، مؤسسة عزالدين ، بيروت – ١٩٨٦ م ، ج١/٢٦٤ .

([8])ابن سعد ، محمد ، (ت ٢٣٠ هـ) : الطبقات الكبرى ، ط٢ ن دار راصد ،(بيروت ، ١٩٦٠)، ج٣/٢٣٧ .

العلي ، صالح احمد : الدولة في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، مجلد١ – ٢ ، المجمع العلمي العراق ، بغداد ، ص٨٥٠ .

([9]) البلاذري ، أبو الحسن احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ) ، انساب الاشراق ، ج١ ، تحقيق : محمد حميد الله ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩ م ، ج١/٢٧٠ .

([10])ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ / ٦٠٥ .

([١١])مونتمغري وات ، محمد في المدينة ، ص ٥ ؛ جيوم الاسلام ، ص ٥ .

عليه الصلاة والسلام لتعرضه للموت إن أطال مكثه بعد ذلك ،فاحتال للفرار(١٢) ومن الواضح أن مونتمغري وات وجيوم لم يضعا اعتباراً لما جاءت به الروايات الصحيحة و كتب السيرة التي تثبت بأن هجرته عليه الصلاة والسلام كانت بأمر من الله (سبحانه و تعالى)، إذ هاجر المسلمون إلى المدينة بعد أن أمرهم رسول الله عليه (الصلاة والسلام)بالخروج من مكة و الهجرة إليها و قال :إن الله عز و جل قد جعل لكم إخواناً و دارا تأمنون بها ،فخرجوا أرسالا، وبقي عليه (الصلاة والسلام) بمكة ينتظر إذن ربه له في الخروج للمدينة.

حتى كان اليوم الذي أذن فيه الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد عليه الصلاة و السلام بالهجرة إلى المدينة ، قالت عائشة (رضي الله عنها) : فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة ، قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله (صلى الله عليه و سلم) متقنعاً، في ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر فداء له أبي وأمي ، و الله ما جاء به في هذه الساعة إلا امر . قالت : فجاء رسول الله عليه الصلاة والسلام فاستأذن ، فأذن له فدخل ، فقال النبي(صلى الله عليه وسلم)لأبي بكر : أخرج من عندك " فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله ، قال : فإني قد أذن لي في الخروج " فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم(١٣) .

إذا لم تكن هجرته عليه الصلاة والسلام لخطة دبرها ، أو احتيالاً للفرار كما يدعي مونتمغري وات ، ولكنه (صلى الله عليه وسلم) خطط و أخذ بالأسباب المشروعة و التي تحول بإذن الله بين قريش وما أرادت من قتله (صلى الله عليه وسلم) ولهذا اختفى حتى هذا الطلب عنه، و اتخذ دليلاً يسلك به طريقاً غير معروفة إلى غير ذلك من وسائل الإعداد .

رابعاً : تشريع الجهاد

شرع الله عز و جل لنبيه و المسلمين الجهاد في سبيله لإقامة نظام عادل يعبد فيه الله وحده ، ويلتزم بأحكام الشريعة، ويسعى لتحقيق أهداف الإسلام في المعمورة .

ولكن المستشرقين لا يرغبون كما هو ظاهر في كتاباتهم بالاعتراف بشرعية الجهاد، بل يرون أنه تحول من قبل محمد صلى الله عليه وسلم في أسلوب دعوته، إذ يقول مونتمغري وات و كانت نية محمد أن ينشر دينه بالحكمة والموعظة الحسنة فقط فلما وجد أن القوم الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته السماوية و عدم الإصغاء إلى صوت ضميره، بل عزموا على منعه من تبليغ الرسالة عزم ابن الصحراء على أن يدافع عن نفسه دفاع عربي، و لسان حاله يقول كارل لايك : أما وقد أبت قريش إلا الحرب فلينظروا أي فتيان هيجاء نحن (١٤)

أما جيوم بأن الجهاد قد شرعه الرسول (عليه الصلاة والسلام)لإجبار العرب على الاستماع للدعوة، إذ لا سبيل إلى الاتفاق مع الوثنية ، و علـــــــى هذا الأساس وجب ردع كل من يرفض الاستجابة للإسلام "(١٥).

والواقع أن رسول الله (عليه الصلاة و السلام)دعا قومه إلى الإيمان بالله و صرف العبادة له وحده دون سواه ، و كان (عليه الصلاة والسلام يدعوهم بالحكمة) والقول الحسن ويصبر على الأذى ، ويصفح عن الجاهل ، إلا أن قريشاً كانت قد اضطهدت من اتبعه و أصبح المسلمون بين مفتون في دينه وهارب من أرضه قراراً

---

(١٢)الطبري ، محمد بن جرير ، ت ٣١٠ هـ تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٨ م) ، ج٢ ، ص ٢٣٢ .

(١٣)البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب مناقب الانصار ، باب هجرة النبي (٤) واصحابه الى المدينة ، ج٣ / ص ١٤١٨-١٤١٩ .

(١٤) توماس كارل ،عبادة الابطال ص١٦ ، مونتمغري وات ، محمد في المدينة ، ص ٦ .

(١٥) الفريد جيوم ، الإسلام ،ص٤٠ ، مونتمغري وات ، محمد في المدينة ، ص ١٧ .

منهم بدينه ، فمنهم من بأرض الحبشة ، ومنهم من بالمدينة ، ولما آزر الأنصار دعوة الإسلام وصارت للمسلمين أرض يمتلكون السيادة عليها (١٦) أذن الله عز و جل لرسوله عليه الصلاة و السلام في القتال و لم يفرضه عليهم ، قال تعالى: (إن الذين يقاتلون أَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) (١٧).
ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال : (وقاتلوا في سبيلِ اللَّهِ الَّذِي قَاتِلُونَكُمْ) (١٨) ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة ، وكان القتال محرماً ثم ماذوناً به ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ثم مأموراً به لجميع المشركين، (١٩) ولم يكن كما يرى مونتمغري وات من عند الرسول بل إنه بإذن وأمر من الله سبحانه وتعالى (٢٠).

٢- مجتمع المدينة :

صور جيوم علاقة زعماء أهل المدينة بالرسول عليه (الصلاة والسلام) بقوله وقد بدا شيء من التمرد من جانب زعماء أهل المدينة على أثر تولي الرسول السلطة ، إذ شعروا هذا أمر طبيعي بأن ما حصلوا عليه لا يوازي ما تنازلوا له عنه، إذن فقد كانت هناك مطالب أهل المدينة الأنصار) من جانب ، و مطالب أهل مكة من جانب آخر ، و كانت هناك أخيراً وليس آخراً قبائل اليهود التي سرعان ما أبدت سخطها على دين محمد و سياسته(٢١) .
وهذا ما ينافي الحقيقة التي أثبتتها كتب السيرة والمصادر التاريخية الأولى، و التي تفيد بأن محمداً عليه الصلاة والسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة قد بايع زعماء الأنصار الذين قدموا إليه في بيعة العقبة الثانية على السمع والطاعة والنصرة والحرب.
وهذه شهادة أحد زعماء الأنصار عبادة بن الصامت، والتي سجلتها كتب التاريخ إذ قال بايعنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)بيعة الحرب على السمع والطاعة ، في عسرنا ويسرنا و منشطنا ومكرهنا ، وأثرة علينا ، وأن لا تنازع الأمـــــــــــر أهلـــــــه ، وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم (٢٢) و قد التزم الأنصـــــــــار بهذه البيعة وعملوا على المضي فيها من أول وهلة إذ قال العباس بن عبادة بن نضله عقب البيعة و الله الذي بعثك بالحق : إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا؟ (٢٣).
هذا ما كان من أمر الأنصار قبل هجرته عليه (الصلاة و السلام) أما بعد الهجرة فيكفي ذكر موقف واحد يوضح حقيقة رؤية المهاجرين والأنصار ، عندما بلغ الرسول عليه (الصلاة والسلام)أن قريشاً قصدت بدراً فاستشار الناس فقام أبو بكر فقال و أحسن ثم قام عمر فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك و الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل :{ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إنا هَا هُنَا قَاعِدُونَ} (٢٤) و لكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك

---

(١٦)ابن هشام ،السيرة النبوية ،ج٢، ص٤٦٢ ، اكرم ضياء العمري : السيرة النبوية ، ج٢ / ص ٣٣٧ .

(١٧) سورة الحج : الآية ٣٩ .

(١٨) سورة البقرة : الآية ١٩ .

(١٩) ابن القيم الجوزي ، شمس الدين ابي عبدالله بن ابي بكر الدمشقي ، زاد المعاد في هدى خير العباد ، تحقيق : شعيب الالوط ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م) ،ص ٦٣ – ٦٤ .

(٢٠) الفريد جيوم ، الإسلام ، ص٤١

(٢١) وات مونتغمري وات ، محمد في المدينة ، ص ٣٠ .

(٢٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٤٤٨ .

(٢٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ / ص٤٤٨ .

(٢٤) سورة المائدة : الآية ٢٤ .

الغماد لجالدنا معك من دونه ، حتى تبلغه (٢٥)، وفي لفظ عند البخاري، فقال : لا نقول كما قال قوم موسى : (فَاذْهَب أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا) (٢٦) و لكنا نقاتل عن يمينك و عن شمالك و بين يديك و خلفك (٢٧).
أما الأنصار فقام سعد بن معاذ فقال : فقد آمنا بك و صدقناك ، وشهدنا أن ما جنت به هو الحق ، و أعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فو الذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد و ما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقربه عينك. فأين ما قاله سعد بن معاذ وهو أحد كبار زعماء الأنصار، مما يدعيه جيوم عن شعور زعماء الأنصار بعدم الرضا، وإن كان يقصد عبد الله بن أبي بن سلول فمن المعروف أنه أحد المنافقين الذين لا يشكل رأيهم رأي بقية زعماء الأنصار المؤمنين حقاً .

رابعاً : الغزوات الأولى : (الغزوات السرايا)(*)

كانت السرايا والغزوات تعمل على تحقيق بعض الأهداف ومنها ،ان المهاجرون كانوا يعانون من ضائقة اقتصادية شديدة وذلك لمصادرة قريش لأموالهم عند الهجرة ، لذا فقد أراد الرسول (صلى الله عليه وسلم) من توجيههم لمصادرة قوافل قريش التجارية وبذلك تتمكن احوالهم الاقتصادية ، وان يفرض نوعان من الضغط الاقتصادي من خلال التعرض لقوافلها التجارية (٢٨) .
سميت المحاولات الأولى لجمع المعلومات عن سيرة محمد ((المغازي)) (29) ، وإذا لم تكن الفترة المدنية مفعمة بالمغازي ، فإنها مثلت فيها دوراً عظيماً ، وذلك كان من الطبيعي تاريخ حادث ما بغزوة من الغزوات ، ولقد وقعت من بين الأربع وسبعين غزوة سبع غزوات في الثمانية عشر شهراً الأولى بعد الهجرة ، وأهمية هذه الغزوات ضئيلة لأنه لا يبدو ان شيئاً حدث بسببها ، ومع ذلك فهي فعلة واقعة على موقف محمد من المكيين ، وبعد رحيلهُ عن مكة(30) .
ذهب كتاب السيرة النبوية الى تسمية الحملات العسكرية التي قادها الرسول (عليه الصلاة والسلام) بأسم (الغزوات) في حين أطلقوا على الحملات العسكرية التي عهد بقيادتها الى غيره باسم السرايا أو (البعوث) ومن الغزوات (31) .

١. **غزوة ودان :** اول غزوة قادها الرسول (عليه الصلاة والسلام)، ويطلق عليها غزوة الأبواء ويقال ودان ، وقعت في شهر

(٢٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ / ص ٦٢٥ .

(٢٦) سورة المائدة : الآية ٢٤ .

(٢٧) البخاري : وتصحيح البخاري : كتاب المغازي باب قوله تعالى (إذ تستغيثون ربكم) ،ج٤ / ص ١٤٩٠ .

(*) ذهب كتاب السيرة النبوية الى سمية الحملات العسكرية التي قادها الرسول (ρ) بنفسه باسم الغزوات ١١ في حين اطلقوا على الحملات العسكرية التي عهد بقيادتها الى غيره اسم السرايا (والبعوث) ؛ابن سعد ، الطبقات ، ج٢/٥

(٢٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/٦٠٥ ، الملاح ، هاشم يحيى ، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الرشيدة ، دار الكتب العلمية ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ص ١٩١ .

(29) منتغمري وات ، محمد في المدينة ، ص ٦ ؛ الملاح ، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الرشيدة ، ص ١٩٣ .

(30) الواقدي ،محمد بن عمر (ت ١٠٧هـ) المغازي ،تحقيق : مارسدس جونس ،عالم الكتب ،(بيروت ١٩٦٤م)، ج١/٢ ؛ منتغمري وات ، محمد في المدينة ، ص ٦ .

(31)ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١/٥٩ ؛ الواقدي ، المغازي ، ج١/٢ .

صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمة المدينة ، وإن جميع افرادها كانوا من المهاجرين عكس ما ذهب وات ، محمد في المدينة وان حمزة عبدالمطلب قد حمل اللواء ، وكان لونه ابيض ، وكان الهدف للرسول(عليه الصلاة والسلام)التعرض لقافلة تجارية القريشيين، النشاط الحربي لدولة المدينة قد بدأ بغزوة ودان التي قادها الرسول(عليه الصلاة والسلام) بنفسه في اواخر السنة الاولى للهجرة ثم اعقبها بقية السرايا والغزوات (٣٢) ولقد عمل الرسول (صلى الله عليه وسلم) على موادعة مخيش بن عمرو الضميري سيد بني حمزة ، على ان لا يغزو بني ضمرة ولا يغزوه (٣٣) .

٢. **غزوة بواط** : خرج الرسول (عليه الصلاة والسلام) إلى بواط من ناحية رضوى في اخر ربيع الأول للتعرض لقافلة قريش ،

وقد اوضح ابن سعد ان الرسول (عليه الصلاة والسلام) ((خرج في مائتين من اصحابه يعترض لعير قريش ، فيها أمية بن
خلف الجمحي ، ومائة رجل من قريش والفان وخمسمائة بعير فبلغ بواط ، وهي جبل من جبال جهينة ، مما يلي في طريق الشام ، فلم يلق الرسول (عليه الصلاة والسلام) كيداً فرجع الى المدينة))(34) .

ويبدو ان تعبير ان الرسول (عليه الصلاة والسلام) ((لم يلق كيداً مفادهُ انه ولما وصل هدفه كانت قافلة المشركين قد هربت ، فلم يحصل قتال ، وربما أن هدف الرسول (عليه الصلاة والسلام) من هذه الحملات كان محصوراً بحدود عملية استعراض القوة واشعار مشركي مكة بالخطر ، فضلاً عن محاولة كسب القبائل العربية المتواجدة على الطريق بدليل ان الرسول (عليه الصلاة والسلام) قد لبث في بواط حوالي الشهر أو حسب قول ابن اسحاق ((بقية شهر ربيع الأخر ، وبعض جمادي الأولى))(35) .

ويذكر منتغمري وات ، إن المسلمين هم الذين قاموا بالهجوم ، وقد ارسلت هذه الغزوات السبع ما عدا واحدة ، ضد القوافل المكية ، وساعد على ذلك الموقع الجغرافي ، فقد كان على القوافل المسافرة من مكة الى سورية أن تموين المدينة والساحل ، حتى لو ظلت أقرب ما يمكن من البحر الأحمر ، اقرب ما يمكن من البحر الاحمر ، فقد كان عليها ان تمر على مسافة ١٣٠كم من المدينة على الاقل ، حتى إذا ما وجدت بعيدة هذه المسافة عن قاعدة العدو ، فإنها تأخذ نفسها مرتين ابعد عن قواعدها الخاصة ، فما كان على المهاجمين الا الاهتمام بالفرقة المرافقة للقافلة ، ثم يعودون ادراجهم ، قبل ظهور اي جماعة للمساعدة ، وكانت فكـــرة هذه المغازي ، كما هو حال هروب العرب في الصحراء هي مفاجئة العدو بأعداد الكمائن له.

ويبدو في هذه المغازي الأولى ان الفرصة المواتية لم تتح لهم غير ان عدم سنوحها لم يدفع المسلمين الى المخاطرة في القيام بهجوم وجهاً لوجه ، بل كانوا ينسحبون بكل بساطة ، وكان عدد الرجال المشركين في الغزوات الثلاث يتراوح من ٢٠ الى ٨٠ رجلاً ، بينما بقال هذا العدد ارتفع الى ٢٠٠ في غزوة نهاية ٦٢٣م التي اشترك فيها محمد نسه (36) .

وكانت القوافل التجارية قوية جداً ، واحدة منها تتألف من(٢٥٠٠) جمل يصحبها ٢٠٠ الى ٣٠٠ رجل، ربما كانت هذه الارقام مبالغ بها لأنه لم يكن يوجد سوى ٧٠ رجلاً في القافلة المهمة التي كانت السبب في معركة بدر وربما كان ضعفها هذا هو الذي حمل القريشيين على الخروج بكثرة .

---

(٣٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١/٥٩٨ ؛ ابن سعيد ، الطبقات ، ج٢/٩٥٨.

(٣٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١/٥٩٨ ؛ ابن سعيد ، الطبقات ، ج٢/٩٦٠.

(34) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١/٥٩٨ .

(35)العلي ، صالح احمد : الدولة في عهد الرسول (ρ) ، ص ٢١٨ .

(36)وات ، محمد في المدينة ، ص ٢٣ .

لو كان مع محمد ٢٠٠ رجلاً او ١٥٠ لكان الأنصار من بينهم ، وتجمع المصادر على ان معركة بدر كانت الأولى التي يشترك بها الأنصار ، وربما كان محمد لديه اقل من مئة مهاجر في معركة بدر ، حيث كانوا جميعاً حاضرين ، فهناك مجال للقول بان الأنصار اشتركوا على الاقل في اكبر الغزوات الأولى(37) .

كانت قوة المسلمين في غزوة العشيرة مؤلفة من مائة وخمسين رجلاً من اصحاب الرسول (عليه الصلاة والسلام) ويقال من مائتين(38) ، وكان اكثر من نصفهم من الانصار(39) ، وكان هدف هذه القوة التعرض لقافلة قريش التي خرجت من مكة متجهه الى الشام إلا أن قوة المسلمين لم تستطع اللحاق بها لأنها غادرت من منطقة العشيرة قبل وصول المسلمين اليها بإيام ، وهي نفس القافلة التي خرج المسلمون لمصادرتها عند عودتها من الشام ، والتي أدى خروج قريش لحمياتها الى معركة بدر(40) .

ويذكر المستشرق وات منتغمري ، لا شك ان قدرة محمد على التنقل بصحبة قوة ضخمة ومحاولته الهجوم على المكيين الأقوياء قد اثر في البدو ، وربما كان بنو جهينة ميالين للانضمام اليه ، لأن بعض افرادها كانوا حلفاء بعض الأنصار، وكما عقدت معاهدات عدم اعتداء مع بني مرة وبني مدلج ، وكانت نصوص هذه المعاهدات تقوم على ان لا تعتدي قبيلة على اخرى وأن لا تنضم لحلف ضد الأخرى ، وأن لا تساعد اعداء قبيلة الأخرى (41) .

ويذكر وات ، انه قد انقلب عمرو بن عتبه غزوان (وهما حليفا بني زهرة وبني نوفل) اثناء عزوة عبيدة ، كما مال بعض البدو طمعاً في المال (42) ، ويقصد بها مونتغمري وات هذه هي سرية عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب ، ووهي أول راية عقدها عليه الصلاة والسلام ، وقال ابن إسحاق أو بعث رسول الله (عليه الصلاة والسلام) ، في مقامه ذلك بالمدينة عبيدة بن الحارث بن المطلب عبد مناف بن قصي ، ففي ستين وثمانين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الانصار اتجهت الى ماء في الحجاز ،احد فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد بن ابي وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمي به في الإسلام(٤٣) .

ثم انصرف القوم عن القوم ، وأن المسلمين لم يشاؤوا الدخول في معركة ، وفر من المشركين الى المسلمين : المقداد بن عمرو الهراني ، حليف بني زهرة وعتبة بن غزوان بن جابر ، حليف بني نوفل بن عبد مناف ، ولكنهما خرجا ليتوصلا مع الكفار ، ولم يدخلوا المقاتلين من المسلمين في سرية عبيدة بن الحارث في معركة لتفوق قوة المشركين العددية ولأن أهداف سريتهم كانت محصورة بإدخال القلق والخوف إلى نفوس المشركين ، وتهديد تجارتهم .

المعركة الأولى : سرية عبد الله بن جحش ، سرية نخلة

ذكر منتغمري وات ان المعركة الأولى بين المهاجرين والمسلمين والقريشيين الكفار التي وقعت خلال غزوة نخلة ، وذكر وات أن رواية ابن اسحقاق عن عروة بن الزبير عن الزهري ، تقول الرواية ان عبدالله بن جحش

([37])ابن هشام : السيرة النبوية ، ق١ / ٦٢ ؛ منتغمري وات ، محمد في المدينة , ص ٦ .

([38]) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١، ٥٩٨ ، الواقدي : المغازي ، ج١/ص١٢ ؛ابن سعد : الطبقات ، ج٢/٩ .

([39]) ابن هشام : السيرة النبوية ، ق١/٥٩٩ .

([40])ابن سعد : الطبقات ، ج٢ / ١٠ .

([41]) وات مونتغمري : محمد في المدينة ، ص٧ ؛ ابن هشام : السيرة النبوية ، ق١ / ٤١ .

([42]) وات : محمد في المدينة ، ص٧ .

([٤٣]) ابن هشام : السيرة النبوية ق١ الواقدي : المغازي ، ج١ / ١٠ .

، هو حليف بني عبد شمس ، أرسل ومعه جماعة من ثمانية الى عشرة اشخاص وجميعهم من المهاجرين ، وقد أرسل محمد رسالة مختومة وامرهُ ان لا يفتحها إلا حين يصبح على بعد يومين من المدينة(44) .

ذكر ابن هشام في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة ، بعث الرسول (عليه الصلاة والسلام)سرية مؤلفة من ثمانية اشخاص بقيادة عبدالله بن جحش الى موضع يدعى نخلة يقع بين مكة والطائف ، ولم يشأ الرسول(عليه الصلاة والسلام) ان يكشف عن الجهة التي ستذهب اليها السرية حتى لأفرادها وقائدهم ، اذ زودهم بكتاب مختوم يحدد وجهتهم ، ويطلب منهم عدم فتحه إلا بعد ان يبتعدوا عن المدينة مسافة يومين (45) .

إن إحاطة الرسول (عليه الصلاة والسلام) اهداف هذه السرية بمثل الكتمان الشديد ربما كان مرجعه الى رغبتهُ شديدة في حماية افراد هذه السرية من المخاطر التي قد تصيبهم إذا عرف الخبر ، وبخاصة أنهم سيتوجهون الى منطقة قريبة من مكة ، ويقطنها مشركون يرتبطون بقريش بروابط وثيقة(46) .

ذكر مونتغمري وات ففتحوا الرسالة ووجدوا فيها أمراً بالسير الى نخلة ، الواقعة على الطريق من الطائف الى مكة ، وان ينصبوا كميناً لقافلة مكية ، فالتقوا بقافلة مكية في نخلة ، وبددوا شكوك المكيين بالتظاهر بأنهم حجاج ، حتى اذا ما سنحت لهم الفرصة بدأوا بالهجوم ، فقتلوا أحد المكيين الأربعة المرافقين للقافلة ، هو عمرو بن الحضرمي ، واسروا اثنين بينما فر الرابع(47) .

ابلغ قائد السرية عبدالله بن جحش المقاتلين الثمانية بعد فتح الكتاب المختوم بقوله إن أوامر الرسول (عليه الصلاة والسلام) ان امضي الى نخلة ارصد بها قريشاً حتى اتيه منهم يخبر ، وقد نهاني ان استكره احداً منكم ، فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فما انا فماض لأوامر الرسول (عليه الصلاة والسلام) فمضى ومضى معه اصحابه لم يتخلف عنه منهم احداً(48) .

ذكر ابن هشام ، عند وصول السرية الى نخلة ، مرت بهم قافلة تجارية لقريش كانت قادمة من الطائف تحمل زبيب (وأدماً) أي جلوداً وكان برفقتها أربعة رجال ثلاثة منهم من بني مخزوم والرابع حضرمي ويدعى عمرو بن الحضرمي ، فلما رأى افراد السرية قافلة قريش تحركت في اعماقهم روح الثأر والقتال ، الا انهم ترددوا لأنهم كانوا في اخر يوم من رجب ، وهو من الاشهر الحرم عند العرب التي لا يجوز فيها القتال ، وبعد المناقشة بينهم خوفاً من القتال في الاشهر الحرم وهابوا الاقدام عليهم ، ثم شجعوا انفسهم عليهم واجمعوا على قتل من قدر عليه منهم فقتل عمرو بن الحضرمي ، قتله واقد بن عبدالله اليمني سبهم ، واستأسر عثمان بن عبدالله والحاكم بن كيسان ، وافلت الرابع ، واقل عبدالله بن جحش واصحابه بالعير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله (عليه الصلاة والسلام)(49) .

وذكر منتغمري وات ، بالرغم من انذار العدو ، فقد استطاعوا العودة بالقافلة والأسرى الى المدينة ، وهناك ظهر الخوف من مقتل المكي خلال شهر رجب الذي يحرم فيه سفك الدماء ، ولم يوزع محمد الغنيمة في أول

([44]) محمد في المدينة ، ص ٩ – ١٠ .

([45]) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج١ ، ص ٦٠١ – ٦٠٢ ؛ ابن سعد : الطبقات ، ج٢ ، ص ٩ .

([46]) ابن هشام : السيرة النبوية ، ف١ ، ص ٦٠١ – ٦٠٢ ؛ ابن حزم / أبو محمد علي بن احمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ) ، ص ١٠٠ – ١٠١ .

([47]) وات ، محمد في المدينة ، ص ١٠ ؛ جوامع السيرة ، تحقيق : د. احسان عباس ، القاهرة ، دار المعارف ، (د . ت) ، ابن خياط ، خليفة (ت نحو سنة ٢٤٠ هـ) : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : اكرم ضياء العمري ، (النجف ، ، ١٩٦٧ م) ، ج١ / ١٣ – ٢٠ – ٢١ .

([48]) ابن هشام : السيرة النبوية ، ف١ / ٦٠٢ .

([49]) ابن هشام : السيرة النبوية ، ق١/٦٠٣ ؛ العلي ، صالح احمد : الدولة في عهد الرسول (ρ) ،ص٢١٨ .

الأمر ولم يقبل الخمس الذي هو من نصيبه ، حتى نزل الوحي ، وبرر فعلهم وقد جاء الى المدينة ، وقد من مكة للاتفاق على فدية الأسرى فوافق محمد على جعلها ١٦٠٠ درهم عن كل شخص بعد عودة المسلمين الذين انفصلا عن سائر الجماعة (50) ، لم يستقبل الرسول (عليه الصلاة والسلام) ما فعله أفراد هذه السرية بالرضى لأنهم لم ينفذوا أوامره على نحو صحيح ، وقال لهم (ما امرتكم بقتال من الشهر الحرام ، فوقف العير والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً فلما قال ذلك رسول الله (عليه الصلاة والسلام) اسقط في ايدي القوم ، وظنوا انهم هلكوا ، وعنفهم إخوانهم المسلمون فيما صنعوا(51) .

كانت طلائع حركة الجهاد تتمثل في غزوات و سرايا صغيرة، ومن ضمن تلك السرايا سرية عبد الله بن جحش التي مونتغمري وات وصفها بأنها كانت أول غارة قام بها المسلمون، و على عادة المستشرقين حرف مونتغمري وات الحقائق التاريخية الصحيحة لهذه السرية حيث قال : ولم يشترك في الغارة الأولى الموفقة أكثر من عشرة رجال فقد هاجم ستة من المسلمين قافلة يحرسها أربعة من القرشيين فقتلوا واحدا منهم و أسروا اثنين وهرب الرابع . " ثم زعم بأن الرسول (عليه الصلاة والسلام) قد أمرهم بالقتال في الشهر الحرام، مما أثار سخط أهل المدينة ، قال : ولما كان هذا الهجوم قد وقع في الشهر الحرام الذي تبطل فيه أعمال الحروب ، فقد شاع في المدينة نوع من السخط حين عاد المهاجرون بالأسلاب ، إذ خالف محمد الشعور العربي (٥٢) ،علق بقوله "مما جعل كثيراً من الكتاب الأوربيين ينظرون إلى ذلك العمل نظرة عدم ارتياح (٥٣) ، و موقفهم هذا يذكرنا بموقف المشركين الذين أثاروا ضجة كبيرة بدعوى انتهاك المسلمين لحرمة الشهر الحرام ، أما موقف الرسول من ذلك كما وصفه مونتغمري وات - إن الخروج على اتفاق اجتمع عليه العرب جميعاً ليس أمر سهلاً ، و لكن التحرج في مثل هذه الأمور يجب ألا يعرقل ضرورة إبادة الوثنية (٥٤) .

((يذكر وات ان محمداً قد اتخذ جميع الاحتياطات للمحافظة على السر ، فهو لم يكتفي بإعطاء قائد الحملة امراً مختوماً لا يعرفه سوى هو وكاتبه ومستشار او اثنان من مستشاريه المخلصين ،بل ارسل الحملة الى طريق نجد نحو الشرق والهدف نحو الجنوب وذلك ليمنع جواسيس مكة من اكتشاف الهدف من الحملة ،وذلك لان الحملة ستصل الى اقرب نقطة لمكة منها الى المدينة فهي خطيرة على المشركين كما ان تردد رجال الحملة عند قراءتهم للأوامر كان الخطر البديهي على الحملة وذلك بسبب شعور الخزي مما يطلب اليهم فعله رغم ان العربي شجاع حد الجنون اذا ما اثير ولكنه في حالة الهدوء يحاول تجنب الاخطار ، وابلغ محمد عبدالله بن جحش أن يعيد كل الذين لا يرغبون في الخروج أو في تنفيذ المخطط وكان الهدف الرئيسي من أومر محمد المختومة إلى عبدالله بن جحش ، ان يذهب الى نخلة ،وينصب كمين لقافلة قريش وان يرفع تقريرا لمحمد (55)، وإن محمداً امر بالقيام بهذه المهمة واحتمال أن تؤدي الى سقوط قتلى من رجاله أو من رجال اعدائه، وان الهدف هو القافلة او كل قافلة تسير على الطريق بين الطائف ومكة وتتبعها حراسة ضئيلة ، إن احاطة أهداف هذه السرية بالكتمان الشديد كان مرجعه أو رغبته الشديدة في حماية افراد السرية من المخاطر التي قد تصيبهم إذا عرف الخبر ، وخاصة انهم متوجهين الى منطقة قريبة من مكة ويقطنها مشركون يربطون بقريش بروابط وثيقة ، وطلب الرسول (ﷺ) من قائد السرية ان لايستكره أحدا من افرادها على المضي معه بعد اعلامهم بالموضع الذي سيتوجهون اليه فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق معي ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما

(50) ممنتغمري وات ، حمد في المدينة ، ص١١ .

(51) ابن هشام : السيرة النبوية ، ق١/٦٢ .

(٥٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ف١ / ٦٠٢ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج٢ / ٩ .

(٥٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ف١ / ٦٠٢ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج٢ / ١٠ .

(٥٤) الواقدي : المغازي ، ج/ ١٧ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ / ٤٠٢ .

(55) منتغمري وات ، محمد في المدينة ، ص١٢ .

انا فماضٍ لامر الرسول (ﷺ) ، فمضى ومعه أصحابه لم يتخلف منهم أحدا ، ذكر وات هناك مسألة أهم وهي ما إذا كان حمدا ينتظر الهجوم على القافلة خلال شهر رجب المقدس ، ومسألة الأشهر الحرام صعبة وهي أربعة رجب ذو القعدة ذو الحجة ومحرم ، وقد قيل إن كل منطقة كانت لها عادات خاصة وكان رد فعل المدينة على حادث نخلة مفاجأة لمحمد وربما كان اهل المدينة اكثر تمسكاً بالمعتقدات القديمة من المكيين ،والايات التي وضعت حدا لتردد محمدا هي التالية (يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ)(56) ،تبين هذه الايات بان خرق الأشهر الحرم شيء خطير ، وكلمة كبير يمكن ان تعني أيضا(الكبيرة : أي الخطيئة) ولكن الايات ليست تحريما للقتال في المستقبل وان كان بعض المؤلفين المسلمين يفسرونها بهذا المعنى ويقولون ان الايات نسخت فيما بعد ، ولكن هذا تبرير لما وقع في الماضي وربما جهد محمد في السنوات التي تلت الحادثة ، في تجنب ارسال الحملات خلال شهر رجب وان القوم اتهموا عبدالله بن جحش وجنده بانهم خرقوا شهر رجب ، وان محمدا لم يكن يعبأ كثيرا بالقتال في الأشهر الحرم ، ولمن كان عليه ان يحترم معتقدات قسم كبير من أصحابه ، وان يتجنب ما يحدث من صدى يهدد سلطته كنبي .)) في الأجواء العصيبة التي كان يعيش فيها المسلمون نزل القران الكريم على الرسول بقوله تعالى (يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ)(57)، ومعنى هذه الاية عند جمهور المفسرين انكم يا كفار قريش تستعظمون علينا القتال في الشهر الحرام ، وما تفعلون انتم من الصد عن سبيل الله لمن أراد الإسلام ومن كفركم بالله واخراجكم اهل المسجد منه كما فعلتم برسول الله واصحابه اكبر جرماً عند الله وبذلك هدأت نفوس المسلمين وشعروا ان ما فعله عبدالله بن جحش وافراد سريته لم يكن بالامر الجسيم كم صورته دعاية قريش ودعاية المستشرقين ومنهم مونتغمري وات ، وإنما كان نوعا من رد العدوان الذي كانت قريش قد بدأت به ضد المسلمين ، لذا فقد قبض الرسول (ﷺ) ، الغنائم التي حصلت عليها السرية مع الاسيرين ، ولم يطلق سراحهما حتى أخذ عنهم الفدية من قريش فكانت هذه الغنيمة أوغنيمة غنمها المسلمون ، وعمرو بن الحضرمي اول من قتله المسلمون ، وعثمان بن عبدالله والحكم بن كيسان اول من اسر المسلمون ، اما السرايا السابقة فقد اقتصرت على التهديد وممارسة الضغط على قوافل قريش التجارية ولم يحصل فيها قتال او سفك دماء وحصول على غنائم ان سرية نخلة كانت فاتحة مرحلة الصراع المسلح بين دولة المدينة ومكة(58).

وبالرجوع إلى المصادر التاريخية الأولى نجد أن الرسول عليه(الصلاة والسلام) بعث عبد الله بن جحش، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ، وكان قد كتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فإذا فيه إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تأتي نخلة بين مكة و الطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم . فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال سمعاً وطاعة (٥٩) إذا الرسول عليه الصلاة والسلام لم يأمرهم بالقتال و إنما بالاستطلاع والتعرف على أخبار قريش، لكنهم تعرضوا لقافلة تجارية لقريش في الشهر الحرام فظفروا بها وقتلوا قائدها و أسروا اثنين من رجالها (٦٠).

فلما قدموا إلى الرسول صلى الله عليه و سلم قال لهم : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام، وأبى أن يقبل منهم الغنائم، حتى أنزل الله على رسوله عليه الصلاة و السلام قوله تعالى (يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل

([56]) سورة البقرة : الآية ٢١٧ .

([57]) سورة البقرة : الآية ٢١٧ .

([58]) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١/ ٦٠٢ ؛ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج٣ /٤٦.

([٥٩]) ابن هشام : السيرة النبوية ، ق١/٦٠٤ .

([٦٠]) ابن هشام ،السيرة النبوية ، ق١ / ٦٠٤ .

قتالٌ فيه كبير وَ صَدٌ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفَرُ بِهِ وَالمسَّجِدِ الحرام وإخراج أهله منه أكبر عِندَ الله وَالفِتْنَةُ أكبر من القتل) (٦١) وقد أقر المولى عز وجل في هذه الآية ما فعله عبد الله بن جحش و من معه من المسلمين ، فإذا كان المسلمون قد قاتلوا في الشهر الحرام، فإن القرشيين قد صدوا عن سبيل الله وكفروا به ، و إخراج المسلمين من بلدهم، وفتنة المسلم عن دينه ليكفر أكبر عند الله من قتال المسلمين لمن قتلوهم في الشهر الحرام (٦٢).

وأما ما يزعمه مونتغمري وات عن موقف الرسول (صلى الله عليه و سلم)و أنه أذن لهم بالقتال فليس له أساس من الصحة، وإنما بعد نزول الآية السابقة امتثل الرسول(عليه الصلاة والسلام) لامر الله و ما أنزل عليه، وقبض العير و فادى بالأسيرين .

وإذا كانت إبادة الوثنية هي الأمر الذي لا يمكن أن يعرقله أي حدث كما يدعي مونتغمري وات ، فبماذا يفسر موقف الرسول (عليه الصلاة والسلام)عندما فتح مكة وقال لأهلها لا تثريب عليكم وكان بإمكانه أن يقتل أو يأسر ، و لكنه عفى و صفح رغبة في هدايتهم و تأليفاً لقلوبهم، وكان ثمرة ذلك إسلامهم و إيمانهم بالله وحده.

المبحث الثاني

أولاً : معركة بدر : آذار ٦٢٤ م

ذكر مونتغمري وات أن صفوف القريشيين لم تكن موحدة ، وقد انسحب من صفوفهم قبيلتان هره وعدي ، بعد اتخاذ القرار بالتقدم إلى بدر رغم سلامة القافلة اذ انهما اعتقدا بأن ابا جهل وأصدقاءه سيكونون المستفيدين الكبار من تحطيم محمد ، وأخذ الخوف من القتال يسير أعمال المكيين لأن غالبيتهم كانوا يعتقدون أن المسلمين لن يجرؤوا على مهاجمتهم ، ويذكر وات ان المسلمون لو علموا أنه سوف تحدث معركة لامتنعوا عن السير ، وهناك قصة سقاء مكي اسره رجال محمد واستجوبوه وحين اخبرهم عن بالحقيقة عن جيش ابي جهل الصغير اعتقدوا انه يكذب عليهم فضربوه حتى إذا ما روى لهم الاكاذيب عن ابي سفيان صدقوه ، ولم تكتشف حقيقة الأمر إلا حين استجوبه محمد (صلى الله عليه و سلم) بنفسه ، ويبدوا بهذه الصورة ان محمداً ، قد حصل على معلومات دقيقة عن القريشيين قبل ان يعرفوا شيئاً عنه ، فاستولى بذلك على زمام المبادرة(63) .

وهكذا فقد دب الانقسام في صفوف المشركين فانسحب من بيتهم بنو زهره وبنو عدي ، وساهم بنو هاشم وهم مكروهون(64) ، كما ان بعض قادة المشركين من امثال عتبة بن ربيعة من بني عبد شمس وحكيم بن جزام من بني اسد قد ساروا إلى القتال وهم غير راغبين في مجاراة لأبي جهل ، ومع ذلك فقد بلغ عدد افراد جيش المشركين الذين توجهوا الى قتال المسلمين حوالي تسعمائة وخمسين رجلاً أي ثلاثة اضعاف جيش المسلمين (٦٥).

ومهما يكن الامر ، فأن الرسول(صلى الله عليه و سلم) انتقل من مرحلة المشاورة واتخاذ القرار إلى مرحلة التنفيذ ومن ثم فقد اخذ يجمع المعلومات عن قريش وتحركاتها كما بعث بعض اصحابه الى ماء بدر يلتمسون له الأخبار ، فوجدوا هنالك غلامين لقريش يجلبان الماء لقومهما ، فالقوا القبض عليهما وبدأوا باستجوابهما

---

(٦١) سورة البقرة : الآية ٢١٧ .

(٦٢) تاريخ خليفة بن الخياط ، ابن هشام ،ج٢/٦٠٣ ؛ أبو بكر البيهقي : السنن الكبرى ، ط١ ، مطبعة دار المعارف ، العثمانية ، حيدر اباد ، ١٢/٩ .

(63) منتغمري وات ، محمد في المدينة ، ص ١٩

(64) ابن هشام ، السيرة النبوية ،ج١/ ٦٠٩، الشريف: مكة والمدينة ،ص٤٢٨

(٦٥) ابن سعد الطبقات ، ج٢ / ١٥ ؛ خطاب ، محمود شيت ، الرسول القائد ، ص ٦٦ .

فاخبروهم أن قريش هي قريبة منهم ، كما استنتج الرسول (صلى الله عليه و سلم)من اجابتهما إن عددهما بين الألف والتسعمائة ، وإن بينهم زعماء قبيلة قريش((فقال هذه مكة قد القت اليكم افلاذ كبدها))(66) .

السبب الرئيسي لإفشال مخطط زعماء قريش وعدم مقابلة الرسول (صلى الله عليه و سلم)وجيشه هي اصرار أبي جهل على القتال ، وتحريضه لأخي عمرو بن الحضرمي للمطالبة بالثأر لأخيه الذي قتل في سرية نحله ، وقد افشل هذه المساعي السلمية وجعل قريشاً تحزم امرها على خوض المعركة(67) .

والدليل على ذلك ما أورده الواقدي رواية تفيد أن الرسول(صلى الله عليه و سلم)حاول من جانبه اقناع قريش بتجنب المواجهة العسكرية ، فارسل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، فقال : (ارجعوا ، فأنه ان يلي هذا الأمر مني غيركـــــــم احب الي من أن تلوه مني ، وإليه من غيركم أحب الـــــــــي من أن إليه منكم ، وقال حكيـــــــم بن جزام : قد عرض نصفاً فاقبلـــــــوه ، والله لا تنصرون عليه بعد ما عرض من النصف ، فقال ابو جهل لا ترجع بعد ان امكننا الله منهم ، ولا نطلب اثراً بعد عين ، ولا يعترض لعيرنا بعد هذا ابداً(68) .

ذكر مونتغمري وات ، ويتضمن قول القرآن ((إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين انها لكم)) (69) ، (أي القافلة أو فرقة النجدة) وان محمداً(صلى الله عليه و سلم)علم بمقدم ابي جهل قبل وقت كافٍ من القتا ل ، حتى لايجهل مع من سيكون اللقاء ، ويقولون بان الانصار لم يتعهدوا بالدفاع محمد(صلى الله عليه و سلم)إلا داخل اراضي المدينة ، وان محمداً (صلى الله عليه و سلم) اجتمع بهم وطلب اليهم ما اذا سيساندونه في هذه الظروف ،وتستطيع القول بان المسلمين حين علموا بمكان القريشيين كانوا قريبين منهم ولهذا كان كل انسحاب منهم عاراً عليهم ، ولكن الأقرب ان تقول بأن محمداً وجد الفرصة سانحة لمهاجمة القريشين في ظروف موانيه واستطاع اقناع أصحابه بصواب رأيه(70) .

وذكر ابن هشام حين بلغ الخبـــــــر عـــــن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهـــــــم ولمقاتلة المسلمين الرسول (صلى الله عليه و سلم)وجد انهُ لم يعد امامه من خيار سوى الصمود والاستعداد لخوض المعركة الفاصلة مع مشركي مكة ، فاستشار الناس واخبرهم عن قريش ؛ فقام ابو بكر الصديق (رضي الله عنه) فقال واحسن ؛ ثم قام عمر واحسن ، والمقداد بن عمرو ، فقال واحسن ودعا له ، فأبدوا حماسهم لمقاتلة المشركين ، غير ان الرسول (صلى الله عليه و سلم)كان ينظر الى الانصار ويقول ((اشيروا ايها الناس ، وإنما يريد الانصار ، وذلك انهم عدد الناس ، وانهم حين بايعوه بالعقبة ، قالوا : يا رسول الله : إنا براء من دمائك حتى تصل الى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا ، فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمتنع منهُ ابناءنا ونساءنا ، فكان رسول الله (صلى الله عليه و سلم)يتخوف الا تكون الانصار ترى عليها نصرة الا ممن دهمهُ بالمدينة من عدوه ، وإن ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله (صلى الله عليه و سلم)قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله (صلى الله عليه و سلم)؟ : قال أجل ، قال فقد امنا بك وصدقناك ، وشهدنا ان ما جئت به هو الحق ، واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تقر به عينك ،فسر بنا على بركة الله ، ما تخلف منا رجل واحد(71) .

---

(66) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١ / ٦١٥ .

(67) منتغمري وات ،محمد في المدينة /١٨ . الواقدي ، المغازي ، ج١ / ٦١ .

(68) سورة الانفال : الآية

(69)ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١ / ٦١٥ ؛ الواقدي ، المغازي ، ج١/١١ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج٢/٧ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ / ٤٠٢ – ٤١٠ .

(70) مونتغمري وات : محمد في المدينة ، ص ٢٢ .

(71) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١ / ٦١٥ ؛ الواقدي : المغازي ،ج١ / ١١ .

ويذكر مونتغري وات : كان وجود محمد صباح اليوم التالي على الابار مفاجئة لقريش ولم يعلموا مكانه بالتأكيد ويبدو انه نشبت مبارزة خاصة بين الابطال وهي مقدمة لنشوب الحرب الحقيقية عند العرب ، كما تبادلت السهام ، ثم حدثت الوقعة العامة التي اسفرت عن فرار القريشين وقتل ما بين ٤٥ – ٧٠ قريشاً ومنهم ابو جهل وعدد من الزعماء الاخرين ووقع عدد مماثل من الاسرى وكانت الغنيمة ضخمة ، وقد اعلن محمد ، حتى التوقف عن مطارة العدو ، ان توزيع الغنائم سيكون بالتساوي بين الذين اشتركوا في القتال(72) .

ذكر وات ، قد علم القريشيون بعد عدة أيام خروجهم ان القافلة قد فلتت من محمد وانها سالمة ، وكان السبب الوحيد للقتال الثأر لعمرو بن الحضرمي ، وكان عتبة بن ربيعة من عبد شمس ، مستعداً لدفع دية القتيل حفظاً للسلام ، غير ان أبا جهل القريشي جعله يخجل بلباقة، فسحب عرضه وبذلك حمل أبو جهل القريشيين على التقدم ، وكان يأمل أن يتخلص من محمد نهائياً (٧٣) .

بعد عسكر جيش المشركين (قريش) ارسلوا شخصاً يستطلع قوة المسلمين ، بعد ان استجال بفرسه حول المعسكر وابلغهم قائلاً : (ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً او ينقصون ، لا يوجد كمين او مدد فضرب في الوادي حتى ابعد ما وجدت شيئا ، ولكني رأيت يا معشر قريش ، البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوماً ليس معهم منع ولا ملجأ الا سيوفهم ، والله ما أرى ان نقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم ،فإذا اصابوا منكم اعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ، فأروا رأيكم (٧٤) .

لقد اثار هذا الوصف الخوف في نفس الحكيم بن حزام ، احد زعماء قريش من نتائج المعركة فكلم عتبة بن ربيعة في امر عن انصراف من الحرب بعد ان نجت قافلة قريش فاقتنع عتبة بذلك ، وتوجه الى قومه لأقناعهم غير ان إصرار أبا جهل على القتال وانهاء قوة محمد قد افشت المساعي السلمية (٧٥) .

ذكر ابن هشام : عن ابن اسحاق ، حينما بدأت المنازلة بين الجانبين وقد خرج الأسود بن عبد الاسد المخزومي ، وكان رجلاً شرساً ، من صفوف المشركين متحدياً المسلمين حتى يشرب من الماء من حوضهم أو لأهدمنه ، او لا موتنن دونه ، فتصدى له حمزة بن عبدالمطلب فقتله ، ثم خرج بعده عتبه بن ربيعة واخيه شيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة طالبين المبارزة ، فخرج لهم أولاد عفراء ، من الانصار ، إلا انهم رفضوا ملاقاتهم وطلبوا ان يخرج لهم اكفاءهم من قومهم ، فطلب الرسول (صلى الله عليه و سلم)ان يخرج لهم كل من عبيدة بن الحارث وكان اسن القوم وحمزة بن عبدالمطلب ، وعلي بن ابي طالب ، وقد انتهت المبارزة بمقتل المشركين ثم بدأت المعركة (76) ، قال اسحاق : ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم تجاه بعض ، وقد امر رسول الله (صلى الله عليه و سلم) اصحابه ان يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إن اكتفكم القوم فأنفضوهم عنكم بالنبل(77) .

لم يكن لدى مشركي قريش اهداف واضحه عند اندلاع القتال ، فلا غرابة ان تلحق الهزيمة بهم ، ويبدأ المسلمون بمطارتهم ، فريقاً يقتلون ويأسرون فريقاً .

ولقد بلغ عدد قتلى المشركين في هذه المعركة سبعين قتيلاً واسيراً ، في حين بلغ عدد شهداء المسلمين في المعركة اربعة عشر فقط ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار(78) ، وقد كان من بين قتلى قريش ابرز

([72]) منتغمري وات ، محمد في المدينة ، ص٢٠ .

([٧٣]) وات ، محمد في المدينة ، ص ١٨ .

([٧٤]) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١/٦٢٢ – ٦٢٣ .

([٧٥]) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١/٦٢٢.

([76])ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١ / ٦٢٤ – ٦٢٥ .

([77]) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١ / ٦٢٤ – ٦٢٥ ؛ خطاب ، محمود شيت : الرسول القائد ، ص ٧٣ – ٧٥ .

([78]) الواقدي : المغازي ، ج١ / ١١٦ ، ابن هشام ،السيرة النبوية، ق١ ،ص٧٠٦ .

زعمائهم من رجال امثال عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابي جهل بن هشام وامية بن خلف وابي البختري بن هشام ونبيه ومنبه ابنى الحجاج وغيرهم(79) .

ذكر الواقدي ان الرسول(صلى الله عليه و سلم) يستنكر الاقوال التي تقلل من النصر لأن عده تقليلاً من قيمة النصر الكبير الذي حققه المسلمون على المشركين بفضل الله ومعونته ، وكان رده على الانصاري مسلمه بن سلامة اذ يقول ، فوالله إن لقينا الاعجائز صلعاً ، كالبدن المعلقة متبسم الرسول (صلى الله عليه و سلم) ثم قال اي ابن اخي اولئك الملاء لو رأيتهم لهبتهم ولو امروك لأطعتهم (80) .

وذكر وات ((لقد عومل اسير او اسيران بشدة وقسوة معروفين عند العرب ، وكانت العادة ان يفعل الانسان ما يريده بأسيره وكان لا ينظر الا الى النفع الذي يعود عليه او على قبيلته ، وقد حدث في بدر ان جاء مسلم بأسيره فرآه جماعة من المهاجرين الذين كانوا يكرهونه فوثبوا عليه وقتلوه ، وهكذا ضاعت الفدية على الرجل الذي اسره ، وقد وضع محمد حداً لهذه الاعمال ، وكانت سياسته عامة ان يحفظ الأسرى حتى دفع الديه))(81) .

لقد وردت المصادر ان الرسول(صلى الله عليه و سلم) قد امر بعد معركة بدر بقتل اثنين من الاسرى هما النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط لأنهما كانا من اشد الناس اذى للرسول (صلى الله عليه و سلم) والمسلمين فلم ينظر اليهم الرسول(صلى الله عليه و سلم) بصفتيهما اسيرين بل بصفتيهما مجروحين حرب(82).

ومما يحدر ذكره في هذا المجال والرد على المستشرق مونتغري وات ، أن الرسول (صلى الله عليه و سلم)قد حرم على المسلمين التمثيل في الاسرى حتى لو كان ثمة ميز لذلك ، وذكر بن اسحاق ، ان عمر بن الخطاب قال للرسول(صلى الله عليه و سلم) دعني انزع شيء سهيل بن عمر ، اي اسنانه الأمامية ، وردع لسانه ، فلا يقوم عليك خطيباً في موطن آيداً، قال : رسول الله(صلى الله عليه و سلم)لا امثل به فيمثل الله بي وان كنت نبياً ، وقول رسول الله (صلى الله عليه و سلم) قوله إنه عسى ان يقوم مقاماً لا تذمه(83) .

وذكر وات ((ان الغنائم وتوزيعها سيكون بالتساوي بين الذين اشتركوا في القتال وكانت الغنيمة ضخمة)) ، وفي مسألة الأسرى الذين كانوا من قبيلته او كانت تربطهم علاقة بالمسلمين ، وكذلك لم يكونوا متنفذين ولا اغنياء تدفع ديا لهم ، فكان يطلق سراحهم ، محمد يدرك أهمية اكتساب قلوب المكين بالنسبة له استثنى عقبة بن معيط ، من سياسة اللين ، فقتل بسبب عداءه القديم لمحمد لأنه تظم هجاء فيه والنضر بن الحارث الذي كان قد اعلن (على الفرس تساوي القرآن) (84) .

لقد كانت مسألة الغنائم التي حصل عليها المسلمون في معركة بدر من المسائل التي اثارت بعض الخلاف فتطلب المسارعة لحلها ووضع القواعد بصورة دائميه ، المصادر التي سارت الى ان حجم هذه الغنائم كان كبيراً ، أنه كان من جملة ما غنمه المسلمون في بدر مائة وخمسون بعيراً ، وعشرة خيول ، واسلحة العدد ، فضلاً عن جلود كثيرة ، وقطيفة حمراء ، حملوها معهم للمتاجرة(85) .

الرسول (صلى الله عليه و سلم) قال للمقاتلين قبل المعركة بعد ان اختصم المشاركون عن كيفية اقتسام هذه الغنائم : من قتل قتيلاً فلهُ كذا ، ومن اسر اسيراً فله كذا ، فلما انهزموا المشركين ، كان الناس ثلاث فرق ، فرقة عند خيمة النبي ، وفرقة اغارت على النهب ، وفرقة حطمت العدو فأسروا وغنموا ، ترتب على ذلك ان احرز

([79]) ابن هشام : السيرة النبوية ، ق١/٧٠٦ ؛ الواقدي : المغازي ، ج١/١١٧ .

([80]) ابن هشام : السيرة النبوية ، ق١/٧٠٨ ، الواقدي ،المغازي، ج١ /١١٦

([81]) مونتغمري وات : محمد في المدينة ، ص ٢٢ . ابن هشام ،ج٢ /٧٠٨ ، الواقدي ،المغازي ج١ ص١١٦

([82]) ابن هشام : السيرة النبوية ، ق١/٦٤٤ ؛ الواقدي : المغازي ، ج١/١١٤ .

([83]) ابن سعد : الطبقات ، ج٢ / ص٢٢ .

([84]) محمد في المدينة ، ٢٠ ، ابن هشام ، ق١/٨ ؛ الواقدي ، المغازي ، ص ٧٨.

([85]) الواقدي : المغازي ، ج١ / ١١٦ .

بعض المقاتلين كثيرا من الغنائم ولم يحصل البعض الأخر ، وقد شكى سد بن معاذ لأصحابه ذلك ،ويبدوا ان هذا الخلاف كان خطيراً بحيث تطلب نزول سورة الانفال للمعالجة ومعالجة الامور المثقلة بمعركة بدر واثارها ، فكان مما نزل منها في اختلافهم في النفل اي الغنائم – حين اختلفوا فيه ((ويسألونك عن الانفال قل الانفال لله وللرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين)) (٨٦) فتم التقسيم على السواء وكان في ذلك تقوى لله وطاعة رسول الله وإصلاح ذات البين ،اما عن سبب استثناء عقبة بن المعيط من سياسة اللين قال : ابن إسحاق ان حين امر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، لم يقبل من الاسرى اسيراً غيره ، قال له عاصم بن ثابت قال يا معشر قريش ، علام اقتل من بين من هاهنا؟ قال على عداوتك الله ورسوله ، فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) اتدرون ما صنع هذا ، جاء وانا ساجداً خلف المقام فوضع رجله على عنقي ، فما رفعها حتى ظننت ان عيني خرجت من مكانها ، وجاء مرة بسلي شاة فألقاه على رأسي وانا ساجد فجاءت فاطمة فغسلته من رأسي (87) .

وهكذا فقد امر الرسول (صلى الله عليه و سلم) المقاتلين كانت بأن يردوا الاسرى والاسلاب وما اخذو من المغنم ، ثم اقرع بينهم في الاسرى ، وقسم الاسلاب التي نفل الرجل نفسه في المبارزة ، وما اخذه في العسكر ، مقسمته بينهم بالتساوي))(88) ، قال ابو عبيد ؛ إن الرسول(صلى الله عليه و سلم) قد قسم غنائم بدر على ما اراده الله من غير ان يخمسها (89) .

فلما نزلت ((واعلموا أنما غنمتم من شيء فانه لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)) (90) ، اخذ يقسم الغنائم ومقالاً حكم هذه الآية ، فكانت الغنيمة تقسم على خمسة اخماس : ((فأربعة منها لمن قاتل عليها وخمس واحد معهم على اربعة ، فربع الله والرسول وذي القربى ، والربع الثاني لليتامى ، والثالث للمساكين ، والربع الرابع لأبن السبيل ، وهو الضيف الفقير الذي ينزل بالمسلمين (91) .

ويلاحظ ان العرب كانوا يخصصون لرئيس القبيلة ربع الغنيمة ، ويقسمون ما تبقى على المقاتلين ، وأول من خرج عن هذه القاعدة من المسلمين فخمس الغنائم وخصص لله وللرسول(صلى الله عليه و سلم) الخمس هو عبدالله بن جحش غنائم سرية وكان ذلك اجتهاداً منه وقبل نزول سورة الانفال(92) .

ثانياً : حالة اهل مكة بعد معركة بدر من خلال رؤية المستشرق مونتغمري وات

كان فقد الرجال المتدربين كارثة من الدرجة الأولى على مكة وقد قتل عدا من الرجال عدى ابي جهل من مخزوم الزعماء التالية أسمائهم ابو جهل بن هشام ، عقبة بن أبي معيط ، عتبة بن ربيعة، وابنه الوليد واخوه وشيبة بن ربيعة من قبيلة عبد شمس، الحارث بن عمرو، وطعيمه بن عدي، من نوفل ابي البختري بن هشام ، ونوفل بن خويلد من بني اسد ، النضر بن الحارث، بن عبد الدار، ومنبه بن الحجاج، وأخوه نبيه من بني سهم وأمية بن خلف جمح(٩٣) ، ذكر ابن هشام من قتل ببدر من المشركين، حنظلة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، قتله زيد بن حارثة، النضر بن الحارث، ابو البختري بن هشام وامية بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وزمعة بن الاسود ، وامية بن خلف ، واخاه ، ولم يبقى سوى اثنا عشر رجلا من ذوي المقدرة والخبرة في مكة، وكان

(٨٦) سورة الانفال : الآية ٤١ .

(87) أبو عبيد ، الأموال ، ص ١٣ – ١٤ .

(88) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١/٦٠٣ .

(89) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٣٠٥ .

(90) سورة الانفال : الآية ٤١ .

(91) أبو عبيد ، الأموال ، ص ١٥ .

(92) ابن هشام : السيرة النبوية ، ق١/٨١٧ .

(٩٣) مونتغمري وات : محمد في المدينة ، ص ٢٦ .

طبعا ابو سفيان سليماً معافى من القافلة، وأصبح أهم رجل في مكة افتدى في مكانه مكرز واخلوا سبيله حتى يبعث الفداء ، كان سهيل بن عمرو أسيرا، ولكنه افتدى(فدية)، وقد استطاع حكيم بن حزام اخرون غيره الفرار من ميدان القتال، ومع ذلك فقد كانت الكارثة ضخمة (٩٤) .

ذكر منتغمري وات إنه فقد الكرامة لم يكن قليلا وإنه لم يحدث تغييرا مباشرا في الحالة السياسية، وقد أدرك عرب الحجاز أن هذه المعركة لا تعني استبدال المدينة بمكة كقوة مسيطرة في تلك المنطقة وكان لابد من أدلة أخرى على قوة محمد قبل أن يأتي إليه الناس البعيد والداني أفواجاً، ولقد أصبح واضحا بعد الآن أن أبا جهل قدر حق قدره التهديد الذي يمثله محمد وإن كان قد أخطأ في بعض المسائل، والشيء الأكيد أن محمد يقف موقف المتحدي، ولا يستطيع المكيون سواء الرد على هذا التحدي بعد أن دعاهم إلى امتحان للقوة على طول الخط وإذا لم يكن أي واحد من العدوين ينظر فإن مصير المعركة لم يكن صدفة(٩٥) .

إن أهم نتيجة للحرب كانت ازدياد إيمان محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه المقربين إليه برسالته كنبي بعد سنوات الشقاء والاضطهاد بعد الشهور المضنية في المدينة حيث كان يبدو النجاح بعد ما أتى هذا النصر الرائع فكان ذلك انتقام الإيمان الذي أيدهم في ساعات الشقاء فنظروا إلى هذا النصر على أنه معجزة من صنع الله كما يقول القرآن الكريم((فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)) هذه الآية الكريمة تبين أن النصر أولا وآخرا من عند الله عز وجل وأن لاينسبوا لأي سبب كان من الأسباب مهما كان ولا ينسبونه لأنفسهم كما ذكر منتغمري وات أن تفسير كلمة فرقان في بعض آيات القرآن بالمعنى الذي يقول به ريتشارد بل والآية من سورة الأنفال (ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ) (٩٦) تتحدث عن يوم الفرقان ويوم التقى الجمعان وهو يوم بدر ، ولما كانت كلمة فرقان لها صلة بالكلمة الربانية وهي تعني (الخلاص) فإنها تعني (نفاذ الحكم) وإذا كان الأمر كذلك في الفرقان الذي أعطى لموسى هو أصلا خلاصه يوم كان يقود شعبه من مصر، وانتصر على فرعون وجيشه ولذلك فرقان محمد هو خلاصة في بدر حين أرهقت الكارثة بالمكيين(٩٧) ، كانت غزوة بدر من أوائل الغزوات التي حصلت بين المسلمين والمشركين وتسمى بـ غزوة الفرقان ، وذلك أن الله تعالى فرق فيها بين الحق والباطل ،وكما توجد إشارة تشبه تجربة الوحي وقعت لمحمد كما يبدوا عند احتدام المعركة حيث تأكد بعدها أن المسلمين كأنما يتلقون مساعدة إلهية لا تقهر(٩٨) .

ذكر مونتغمري وات أن محمد فورة انتصاره للتخلص من بعض جوانب الضعف وقتل شخصان أسماء بنت مروان من أمية بن يزيد وأبو عفق من بني عمرو بن عوف على يد رجال من قبيلتهما أو من قبائل قريبة لهما(٩٩) ، ذكر ابن إسحاق عن ابن هشام والطبري لرحلة عمير بن عدي لقتل عصماء وليس أسماء كما سماها ذكرها وات منتغمري وإنما عصماء بنت مروان بين أمية بن يزيد بعد مقتل ابن آفاق التي كانت تحرض على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم وإنكم تطيعون غريبا وتحرض أهل المدينة على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سمع الرسول ما قالت قال : من سيخلصني من ابنة مروان فقام عمير بن عدي الخاطمي والذي كان معه حينها بالذهاب إلى منزلها وقتلها وذهب عمير بعدها في الصباح إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم)

(٩٤) ابن هشام : السيرة النبوية ، ق١ / ٦٠٥ .

(٩٥) محمد في المدينة ، ص ٢٦ .

(٩٦) سورة الانفال : الآية ٤١ .

(٩٧) اصل الاسلام في الجوار المسيحي ، لندن ، ١٩٢٦م ج١ ، ط٢ ، ص١١٨ .

(٩٨) محمد في المدينة ، ص ٢٦ .

(٩٩) محمد في المدينة ، ص ٢٧ .

وأخبره بما فعل والذي كان يلقب بالقارئ وكان اعمى وقام بطعنها بالسيف حتـــــى اختـــــــرق السيف ظهرهـــــا، بعد ابعاد ابنها عنهـــــــــا ، ولقبه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالبصير (١٠٠) .
ذكر وات عدم مشاركة الانصار في السرايا وغزوة بدر ، ويذكر ان افراد سرية حمزة بن عبدالمطلب لا يذكر الانصار وانما يقول لم يحدث اشتباك بسبب وجود مدنيين متحالفين مع جهينة بين المهاجمين (١٠١) ، بل ان الواقدي ذكر ان افراد سرية حمزة عبدالمطلب السنة الثانية للهجرة كانوا يتألفون من ثلاثين رجلاً نصفهم من المهاجرين ونصفهم الثاني من الانصار وإن هذه السرية كادت تشتبك مع المشركين في القتال لولا ان توسط بيتهم محمد بن عمر من بني جهينة(١٠٢) .
أشار القرآن الكريم الى ان بعض المنافقين ومن في قلوبهم مرض ((لما رأوا ان الرأي الغالب هو مناجزة العدو القوي اخذوا يقولون ان المؤمنين قد اغتروا بدينهم الذي يدفعهم الى الموت المحتم (١٠٣) ، فجاء في سورة الانفال التي نزلت بعد معركة بدر : فأن الله عزيز حكيم))(١٠٤) .
يؤيد وات ان الغاية من غزوة بدر هي طبيعة العربي البدوي ويخصصون له ربع الغنيمة ويقسمونه ما تبقى على المقاتلين (١٠٥) ، واول من خرج عن هذه القاعدة من المسلمين فخمس الغنائم وخُصص لله وللرسول (صلى الله عليه وسلم) هو عبدالله بن جحش حينما خمس غنائم ثم سرية نخلة ، وكان ذلك اجتهاداً منه قبل بدر وقبل نزول سورة الانفال(١٠٦) .
ذكر وات لقد عزز الانتصار مكانة محمد في المدينة بعد ان تدهورت هذه المكانة خلال الأشهر السابقة حتى كان يبدو انه لن يفوز بشيء فلم يكن ، مثلاً اسيد بن حضير وهو من الزعماء الذين اسلموا مبكراً ، يؤيد محمداً بحماس للاشتراك في الحملة ولكنه ما كاد يرى محمداً يعود منصراً حتى اعتذر اليه(١٠٧) .
لقي الصحابي اسيد بن الحضير رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اقبل من بدر فقال : (الحمدلله الذي اظفرك وقر عينك والله يا رسول الله ما كان تخلفي عن بدر ، وانا اظن انك تلقى عدواً ، ولكن ظننت انها العير ولو ظننت انه عدو ما تخلفت عن ذلك) ، وقال رسول (صلى الله عليه وسلم) (صدقت)(١٠٨) .
ذكر وات ، قد ساعد عدد من العوامل على هذا الانتصار الذي حققه المسلمون ، وكان احد هذه العوامل عدم الوحدة بين صفوف القريشيين ، والانسحابات المتتالية من الجيش البالغ عددهُ ٩٥٠ رجلاً في البداية لصبح ٦٠٠ الى ٧٠٠ ، ولم يكن مخلصين الباقين لسياسة ابي جهل ، وكانوا شديدي الثقة بأنفسهم ، وكان لحماس المسلمين ضد مثل هذا العدد اثره الكبير كما ان ايمانهم في حياة ثانية كان يشجعهم على القتال ، وثقة محمد بالنصر توحي لهم الثقة بالنصر ، وقد عادت عليهم بتفوق تكتيكي تلك هي اهم أسباب النصر، ويؤكد متنغمري وات ان المباغتة قبل المعركة من خلال سيطرة محمد على ابار بدر قبل ليلة حدوث المعركة واجبر اعداءه

(١٠٠) ابن هشام : السيرة النبوية ، ق٢ / ٩٩ ؛ الواقدي ، المغازي ، ص ٩٠ – ٩٢ .
(١٠١) محمد في المدينة ، ص ٧٠ .
(١٠٢) الواقدي ، المغازي ، ج١ / ٩ – ١٠ ؛ ابن سعد التعليقات ، ج١ / ٢٣٨ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢/٤٠٢ – ٤١٠ .
(١٠٣) مونتغمري وات ، محمد في المدينة ، ص ٢٢٥ .
(١٠٤) سورة الانفال : الآية ٤٩ .
(١٠٥) مونتغمري وات ،محمد في المدينة ، ص ٢٢٦ .
(١٠٦) ابن هشام : السيرة النبوية ، ث١ / ٦٠٣ ؛ الواقدي : المغازي ، ج١ / ٧١ – ٧٨ .
(١٠٧) مونتمغري وات ، محمد في المدينة ، ص ٢٤ .
(١٠٨) الواقدي ، المغازي ، ص ٣٨ .

الذين كانوا بحاجة الى الماء للقتال فوق ارض وظروف اختارها هو ووجدوا انفسهم المكيين في وضع يستحيل عليهم فيه القتال ، ومن نتائج غزوة بدر في رأي المستشرق هجوم محمد على قبيلة بنو قينقاع اليهودية سببها لمقتل مسلم بعد دفاعه عن المراة عند الصائغ وحوصرت القبيلة لمدة أسبوعين واستسلمت وابعدت عن المدينة فقد عدوا اليهود العدو اللدود ولابد ان نذكر موقف عبدالله بن ابي بن سلول الذي دافع عن افراد القبلية وقال لمحمد هؤلاء حلفائي وعددهم ما يقارب السبعمائة (١٠٩) .

الخاتمـــــــــة

كانت معركة بدر من المعارك لفاصلة في تاريخ الإسلام وقد ترتب على انتصار المسلمين فيها نتائج متنوعة سواء على المستوى السياسي او الاجتماعي او الاقتصادي او التشريعي ، لذا تطلب دراسة النتائج التي نشأت عنها بصورة دقيقة :

لقد اصبح مركز رسول الله (صلى الله عليه وسلم) السياسي في المدينة بعد انتصاره في بدر قوياً بحيث لم يعد بإمكان اليهود والمنافقين والمشركين ان يتحدوا سلطاته التي تقررت في الصحيفة ، وإنه يمتلك من وسائل القوة المادية مما يساعده على ممارسة سلطاته الروحية والسياسية، ولم يقتصر اثر معركة بدر على تقوية مركز رسول الله صلى الله عليه وسلم السياسي في المدينة ، بل ان مكانته ومكانة دولة المدينة قد ارتفعت في انظار العرب وغدت تلك القوة الصاعدة في نظر الكثيرين استطاعت تحدي قوة مكة والتغلب عليها بشكل حازم ، وبذلك كانت معركة بدر جديرة بوصف (الفرقان) التي وصفها القرآن الكريم لانها فرقت بين الحق والباطل

اكدت صورة الانفال على وجوب طاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بصورة خاصة وحذرت من معصيته وأكدت على الشورى بين القائد والجند وعدم مخالفة وتجاوز أوامر الرسول (صلى الله عليه وسلم) (سورة الانفال ٢٠-٢١)

اكدت سورة الانفال ان المؤمنين من المهاجرين والانصار بعضهم أولياء بعض وانهم وحدة يسودها الحب والتآلف ، واخوّة الايمان تعلو على اخوّة النسب والدليل كان مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين وكان اخوه أبو عزيز بن عمير في صف المشركين ثم وقع اسيراً بيد احد الأنصار فقال مصعب للأنصاري شد يدك به فإن امه ذات متاع تلك كانت حقائق وليس مجرد كلمات ، انه اخي دونك ، انها القيم المطروحة لتقوم الإنسانية على أساسها فإذا العقيدة هي آصرة النسب والقرابة وهي الرباط الاجتماعي .

جاءت سورة الانفال لتؤكد على تسمية يوم بدر يوم الفرقان وقد تحدث الأستاذ سيد قطب عن وصف الله تعالى ليوم بدر بأنه يوم الفرقان (الانفال الآية ٤١) فقال: كانت غزوة بدر التي بدأت وانتهت بتدبير الله وقيادته وتوجيهه ومدده فرقانا بين الحق والباطل كما يقول المفسرون اجمالاً وفرقاناً بمعنى اشمل واوسع وادق واعمق كثيرا التي كانت فرقانا بين الحق والباطل فعلا ، وجاءت سورة الانفال لتؤكد على الأهداف السلمية للدعوة الإسلامية وان من واجب المسلم الجنوح للسلم ان جنح لها الأعداء(سورة الانفال اية ٦١) .

اكدت سورة الانفال على أهمية الايمان والصبر للنصر على الأعداء ، وان الصبر مفتاح الفرج فما ضاقت الأمور على من صبر، الصبر مفتاح الخير.

ان المؤمن الصابر في القتال من الممكن ان يغلب عشرة من الذين كفروا (الاية ٦٥ الانفال) وسر الانتصار هو ان الإسلام هو السر في انتصار المسلمين الفريد ،وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في قتاله دفاعاً عن الدين ويحارب عربا بعرب ،بل قرشيين بقرشيين ، فلا يمكن ان تكون هناك مزايا لدى طرف دون طرف في القوة والشجاعة ، فالسر وراء انتصار المسلمين هو ان الإسلام وجه نزعات العرب في نفوسهم الى غاية عظمى رفعت اقدارهم وهي اعلاء كلمة الله واعزاز راية دينه .

الإسلام والأسرى لقد كانت مسألة الغنائم من المسائل التي تطلب المسارعة في حلها ووضع القواعد المنظمة لها بصورة دائمة ، وان حجم الغنائم في معركة بدر كان كبيرا ،وقد ترتب على معركة بدر انه احرز بعض

(١٠٩) وات ، محمد في المدينة ، ص٢١ .

المقاتلين كثيرا من الغنائم والأسرى ،ويبدو ان هذا الخلاف كان خطيراً تطلب نزول سورة الانفال لمعالجته ومعالجة بقية الأمور المتصلة بمعركة بدر واثارها ، فلما انقر امر بدر انزل الله عز وجل في القران سورة الانفال بأسرها فكان مما نزل منها في اختلافهم في النفل أي الغنائم حين اختلفوا فيه :سورة الانفال الاية ١ وهكذا فقد امر الرسول (صلى الله عليه وسلم) المقاتلين بان يردوا الاسرى والاسلاب وما اخذو في المغنم ثم اقرع بينهم في الاسرى وقسم الاسلاب الذي اخذها الرجل في المبارزة وما اخذه في العسكر فقسمها بينهم بالتساوي ، فقد اسر المسلمين سبعين اسيرا وهو عدد كبير اذا ما قيس بنسبة عدد مقاتلي المسلمين والمشركين ووسائل القتال في ذلك العصر .

وتوحي الآيات القرآنية التي نزلت حول الاسرى الى ان الله تعالى لم يكن يريد للمسلمين في اول معركة مع المشركين ان يكون لهم اسرى وانما كان عليهم ان يلحقوا اكبر خسائر في الأرواح في صفوف المشركين لتأكيد ان لايبغون في حربهم مع المشركين الحصول على المغنم وفدية الاسرى (الانفال ٦٧-٦٩). فكان النصر هو ثمرة اخلاص المؤمنين ، وكان توحيد قيادة الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع المسلمين له دور في معركة بدر وللدعاء ومقاطعة العدو من نتائج النصر على العدو وكان لاستشارة اهل التقوى من اهل العلم والدين واهل الخبرة في أمور الدنيا من أسباب النصر وصلاح أحوال المجتمع المسلم والدليل استشارة النبي لأصحابه من المهاجرين والانصار في لقاء جيش المشركين فقد كان لعلو منزلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) عند الصحابة فقد كانوا على اتم الاستعداد للتضحية بأنفسهم وموالهم واولادهم ، وكانت لمعركة بدر الفضل الكبير في اعلاء منزلة اهل بدر على غيرهم من الصحابة . فكان لكتمان القائد في عامة غزواته الفضل الكبير في انتصاره في جميع المعارك والغزوات والخطة المحكمة للرسول صلى الله عليه وسلم في المعركة لانه قاتل بنظام الصفوف ولم يكن هذا الأسلوب معروفاً عند اهل قريش .

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

المصادر

١. ابن إسحاق ، أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت ١٥١ ه) .
- المغازي والسير ،تحقيق : محمد حميد الله ،الرباط : معهد الدراسات والأبحاث للتعريب ١٩٧٦.

٢. البلاذري ، أبو الحسن احمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩ ه).
- انساب الأشراف ، ج١/ تحقيق : محمد حميد الله ، القاهرة ، دار المعارف ، د . ت .

٣. فتوح البلدان ، راجعه وعلق عليه : رضوان محمد رضوان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٧٨ .
- ابن حزم ، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد (ت ٤٥٦ ه) .

٤. جوامع السيرة ، تحقيق : الدكتور إحسان عباس والدكتور ناصر الدين الأسد ، القاهرة : دار المعارف ، د . ت .
- ابن خياط ، خليفة (ت نحو سنة ٢٤٠ ه) .

٥. تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : اكرم ضياء العمري ، النجف ، مطبعة الآداب ، ١٩٦٧ .
- الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ ه) .

٦. السيرة النبوية ، تحقيق : حسام الدين المقدسي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٨ .
- ابن الزبير ، عروة (ت ٩٤ ه) .

٧. مغازي رسول الله (ρ) رواية : ابي الأسود ، صححه وحققه : د . محمد مصطفى الأعظمي ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٩٨٢ .
- ابن سعد ، محمد (ت ٢٣٠ ه) .

٨. الطبقات الكبرى ، بيروت ، دار راصد ، ١٩٦٠ .

- ابن سلام ، أبو عبيد القاسم (ت ٢٢٤ ه) .

٩. كتاب الأموال ، صححه وعلق هوامشه : محمد حامد الفقي ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٣٥٣هـ.

- ابن سيد الناس ، محمد بن عبدالله بن يحيى (ت ٧٣٤ ه) .

١٠. عيون الأثر في فنون المغزي والشمائل والسير ، بيروت ، مؤسسة عزالدين ، ١٩٨٦ .

- الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (٣١٠ ه) .

١١. تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٧ .

- القرطبي ، ابو عبدالله محمد بن ابي بكر (ت ٦٧١ ه) ..

١٢. الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٢ .

- ابن قيم الجوزية ، ابو عبدالله محمد بن ابي بكر ، (ت ٧٥٢ ه) .

١٣. زاد المعاد في هدى خير العباد ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٩٥١ .

- ابن كثير ، ابو الفداء (ت ٧٧٤ ه) .

١٤. السيرة النبوية ، ضبطه وصححه : احمد عبد الشافي ، دار الكتب العلمية (بيروت – د . ت) .

- ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الانصتري (ت ٧١١ ه) .

١٥. لسان العرب ، بيروت ، ١٩٥٦ .

- ابن هشام ، محمد بن عبدالملك (ت نحوس سنة ٢١٨ ه) .

١٦. السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبدالحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ن مصر ، ١٩٥٥ .

- الواقدي ، محمد بن عمر (ت ٢٠٧ ه) .

١٧. كتاب المغازي ، تحقيق : مارسدن جونس ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٦٤ .

ثانياً : المراجع

- امين ، احمد .
- فجر الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤ .
- خطاب ، محمود شيت .
- الرسول القائد ، بغداد ، المطبعة الإسلامية ، ١٩٥٨ .
- خليل ، عماد الدين .
- دراسة في السيرة ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٧٤ .
- دروزة ، محمد عزة .
- عصر النبي ، وبيئته قبل البعثة ، دار اليقظة العربية ، ١٩٦٤ .
- سيرة الرسول ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
- الشريف ، احمد إبراهيم .
- مكة والمدينة الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- الدولة الإسلامية الأولى ، دار القلم ن القاهرة ، ١٩٦٥ .

ثالثاً : البحوث والمقالات

- العسلي ، خالد .

١- نظام المؤاخاة في عهد الرسول ، مجلة دراسات للأجيال ، العددان الرابع والخامس ، بغداد ، ١٩٨٣.

٢- المنافقون في مدينة الرسول ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية ، العدد الخامس ، بغداد ، ١٩٧٣ .